تبخل ايدينا بارواحنا على زمان هنّ من كبدِهِ
فهذه الارواح من جودهِ وهذه الاجسامُ من تربهِ
لو فكّر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيهِ لم يسبِهِ
يموت راعي الضأن في جهلهِ ميتة جالينوس في طبهِ
وربما زاد على عمرهِ وزاد في الامن على سَرْبِهِ(٢٤)
وغاية المفرط في سلمهِ كغاية المفرط في حربهِ
قلا قضى حاجتهُ طالبٌ فؤادهُ يخفق من رعبهِ
ما كان عندي ان بدر الدجى يوحشهُ المفقود من شهبهِ
ان النفوس عددُ الآجالِ . وربَّ قبح وحلّى ثقالِ
احسن منهُ الحسن في المعطالِ . فخر الفتى بالنفس والافعالِ
من قبلهِ بالعم والاخوالِ

لماذا يكثر العميان في وادي النيل

(تابع ما قبلهُ)

رابعاً . الاعتقادات والاوهام الباطلة . وهنا لا ادخل في امر الدين ولا اقصد الاشارة الى ملةٍ او شيعةٍ دون سواها . لان الخرافات والاوهام موجودة عند كل الامم حتى بين اكثر القوم ارتقاء واعرقهم مدنيَّة وان كنتَ في ريبٍ من ذلك فاقرأ ما كتبهُ اميل زولا الكاتب الشهير في (سنت لورد) لتعلم الى اين ينتهي حد الخرافة عند بعض سكان فرنسا وهم يعدون في مقدمة اهل الارتقاء والحضارة

وخرافات الناس ضروبٌ شتَّى يضيق المقام دون تعدادها وحصرها فمنهم من يشير على المرضى بالاغتسال بمياه ميضأة الجامع الفلاني او بئر الدير الفلاني . ومنهم من يشير بالاكتحال من تراب الضريح الفلاني او الكنيسة الفلانية الى غير ذلك من المضحكات المبكيات . اتاني يوماً شاب صديق لي من شبان مصر الاذكياء ومعهُ شاب آخر اعمى من اقاربهِ لانظر في عينيهِ لعلي اجد لهُ حيلةً فوجدتهُ مصاباً بضمور العصب البصري فانفردت بصديقي وافهمتهُ ان علة قريبهِ لا يرجى شفاؤها وانهُ سيبقى اعمى طول حياتهِ ولكني طلبتُ اليهِ ان لا يطلعهُ

(٢٤) يقال فلان آمن السرب اي لا يغزى ماله وغنمهُ واهلهُ لعزهِ

على كل الحقيقة لكي لا يتنغص عيشهُ بل ان يفهمهُ ان الأمل برجوع بصرهِ ضعيف ويلزمهُ ان يعتصم بالصبر الجميل . فنظر اليَّ وقال لي كلاَّ لا بدَّ لي من ان اطلع هذا المسكين على الحقيقة برمتها . قلتُ لماذا قال لاريحهُ مما يتحملهُ كل يومٍ من العذاب الاليم عملاً بخرافات اقاربهِ قلت وكيف ذلك قال لهذا الشاب اقارب جهلاء كثيرو الخرافات والاوهام والمعتقدات الفارغة فلما رأى بعضهم ان لاشيء ظاهر على عينيهِ من خارجهما حكموا انهُ مصاب باوراحٍ خبيثة وصاروا يتفننون كل يوم في علاج جديد فطالما سقوهُ من المستنقعات المجاورة لاضمحة بعض المشايخ لاعتقادهم ان بركة اولئك الاولياء تبعد عنهُ الارواح الخبيثة وطالما جعلوا المجاذيب يتفلون في عينيهِ وكم غطسوهُ في ميضأة وسقوهُ من مائها حتى كره حياتهُ فاذا اطلعتهُ الآن على حقيقة امرهِ لا يعود يذعن الى خرافات اهلهِ فيستريح من العذاب . فاستصوبت رأي صديقي واطلعت قريبهُ على حقيقة امرهِ

هذا قليل مما هو شائع بين العامة الجهلاء من ضروب الخرافات وانواع الاوهام . فكيف لا يكثر العمى في البلاد التي تكثر فيها . وتصور ماذا تكون النتيجة اذا اصيب احدهم برمد يستدعي اهتماماً ومعالجة وعوضاً عن ذلك اكتفى بشرب ماء المستنقعات او الاكتحال بتراب القبور ولا تعجب بعد ذلك ان قلت لكن ان الجهل من اقوى اسباب العمى

السبب الثاني — الاقليم والتربة . ارض النيل في منطقة اقرب الى المنطقة الحارة منها الى المعتدلة ولذا يشتدُّ فيها الحرُّ في فصل الصيف ثم ان تربتها ناعمة فاذا هبت الريح حملت الغبار منها وسدَّت بهِ منافس الفضاء . واكثر المدن والقرى في وادي النيل مبنيٌّ على ارض لا تختلف تربتها عن تربة الاراضي الزراعية المجاورة لها ولذا تكثر الاتربة في الازقة والطرقات ولولا كثرة الرش في المدن الكبيرة لما كانت اصلح حالاً من القرى حيث يتصاعد الغبار ويعمي الابصار . ثم ان جسور السكك الحديديَّة يتصاعد منها الغبار الكثيف كلما هبت عليها الريح وكلما مرت عليها القطارات . ومن يجهل فعل الغبار بالاعين فما عليهِ الاَّ ان يسافر مرة واحدة الى الصعيد بطريق السكة الحديديَّة ليقف على حقيقة الامر . ومتى دخل الغبار العين يهيجها ويحدث في الملتحمة خدوشاً دقيقة فتصبح في استعداد تام لقبول كل الامراض المعدية كالرمد الحبيبي المستوطن في وادي النيل والرمد الصديدي وغيرهما . وقد يكون الغبار الذي يدخل العين حاملاً بعض مكروبات الرمد فيكون في الوقت نفسهِ جارحاً وملقحاً ولكن في الغالب تحصل العدوى باللمس اي ان الذي تقرحت ملتحمتهُ بالغبار اذا خالط مصاباً برمدٍ او لمس شيئاً ملوثاً بإفرازات عين مصابة لا يلبث ان يصاب بنفس الداء وكثيراً ما يكون الذباب واسطة العدوى

لانهُ يكثر في البلاد الحارة ويحوم على الاعين الرمداء ثم ينتقل منها ويسقط على الاعين السليمة ويلقحها بمكروبات الرمد العالقة باجنحتهِ وارجلهِ

والحيلةُ في تخفيف المضار التي تنتج عن كثرة الغبار في وادي النيل هي الاعتناء برش الشوارع والطرقات والازقة لا سيما في زمن الصيف وانَّا نرى الحكومة مهتمة بامر الرش ولكن اعتناءها بذلك مقتصر على الشوارع الكبيرة من المدن واما طرق القرى وازقة المدن حتى في العاصمة فلا تزال مهملة . ولنا وطيد الامل ان الحكومة تزيد في اعتنائها عاماً فعاماً . ولكن لا يخفى على كل ذي بصيرة ان تعميم الرش يكلف من النفقات اموالاً باهظة ويكاد يكون من المحال فيجب والحالة هذه ان يتفق سكان الحارات في المدن والقرى ويتعاونوا على رش الطرق فيرش كل ساكن القسم الذي امام بيتهِ

امَّا جسور السكك الحديديَّة فلا بدَّ من مرور الاعوام حتى تصير في الحالة التي لا بدَّ منها لكي لا تضر بالمسافرين . وقد شرعت مصلحة السكة الحديدية منذ حين في اصلاح الجسور بتغطيتها بالحصى فعسى ان يتم لها ذلك في البلاد كلها

السبب الثالث الرمد الحبيبي — ان انخفاض ارض مصر وشدة حرارتها الرطبة لاسيما في زمن الفيضان هما السبب في استيطان الرمد الحبيبي فيها فقد اثبت الاختبار ان هذا الرمد يكثر ويتأصل في البلاد المنخفضة حيث تشتد الرطوبة ويندر في البلاد المرتفعة ذات الجبال والوهاد حيث الهواء جاف . ومن المؤكد ان الحرارة ليست السبب الوحيد في استيطان الرمد الحبيبي في مصر والدليل على ذلك هو : اولاً ان هذا الداء الخبيث ينتشر بسهولة في بلاد المنطقة المعتدلة والباردة وهو مستوطن ايضاً في الاماكن المنخفضة من تلك البلاد : ثانياً لان البلاد المرتفعة الجافة الهواء الواقعة في منطقة احر من منطقة مصر لا يكثر فيها الرمد الحبيبي كبعض جهات السودان المرتفعة فقد اقمت خمس سنوات في ارض السودان وكنت لا اعثر بالمصابين برمد حبيبي الاَّ في الاماكن المنخفضة الرطبة الكثيرة الآجام والمستنقعات ثم ان السود القاطنين اواسط افريقية حيث يبلغ الحر اشدهُ قلما يصابون بهذا الرمد لانهم يسكنون قمم الجبال والآكام حيث الهواء جاف . فينتج من ذلك ان انخفاض الارض وبالتالي رطوبة الهواء السبب الاكبر في احياء جراثيم هذا الرمد والذي يساعد على نموهِ وزيادة فتكهِ واكسابهِ شكلهُ الحاد الصديدي المعدي هو الحرارة اذاً الرمد الحبيبي يستوطن وينتك بالابصار فتكاً ذريعاً حيث يكثر الغبار وحيث الارض منخفضة والهواء رطب حار وهي الحالة في مصر

وقد اطلق الفرنسيون على الرمد الحبيبي اسم الرمد المصري خطأً وذلك لان بعض رمدي الغرب ظنوا انهُ لم يظهر في قارة اوروبا الاَّ بعد عودة جنود نابليون الاول في مصر بين عام ١٧٩٨ وعام ١٨٠١ وقبل ذلك لم يكن معروفًا في تلك القارة . والحقيقة انهُ كان معروفًا في اوروبا منذ القرون الخوالي . فقد كتب عنهُ سلسُس الطبيب الروماني الشهير قبل التاريخ المسيحي واتى على اغلب اعراضهِ كخشونة ملتحمة الاجفان والافراز الصديدي الذي يحدثهُ في طورهِ الحاد . وكان الاقدمون يتخذون لمعالجة هذا الرمد نفس الوسائط الفعالة التي نعول عليها الآن كتشريط الاجفان ومسها بالكاويات فكانوا بعد التشريط يفركون ملتحمة الجفن بورق التين ولا يخفى ما في عصارة هذا الورق من المواد الحريفة فلا يجوز والحالة هذه ان يسمَّى هذا الداء بالرمد المصري . وكونهُ مستوطنًا في مصر لا يثبت شيئًا من ذلك لانهُ مستوطن ايضًا منذ عهدٍ قديم في غير مصر كطرابلس الغرب وتونس والجزائر وبلاد العرب وقسم كبير من اسيا الصغرى لا سيما في الاماكن المنخفضة من تلك البلاد حيث الهواء رطب حار كما هو في مصر . والخلاصة ان الرمد الحبيبي كان معروفًا في قارة اوربا قبل عودة جنود نبوليون الاول من مصر ولكنهُ كان قليل الحدوث خفيف الوطأة واكثر ظهورهِ كان في البلاد المنخفضة الرطبة ولكن بعد عودة الجنود من مصر الى اوربا وحدوث الحروب البونابرتية ايام كانت جيوش اوربا يختلط بعضها ببعض ثم تتفرق وتختالط بقية سكان البلاد سرى الداء من العساكر الفرنسوية الى عساكر الدول الاخرى وامتدت العدوى وانتشر الرمد الحبيبي بصفة وبائية في اوروبا كلها واشتدت فيها وطأتهُ الى درجة هائلة ولذا دعاهُ رمديو ذلك العصر بالرمد المصري

وهذا الرمد هو ولا شك من اقوى الاسباب في كثرة العميان في وادي النيل لانهُ اذا أُهمل في بدء ظهورهِ ولم يعالج معالجةً فعالة لا يلبث ان يتأصل في ملتحمة الاجفان فتغور الحبيبات وتتضخم الاجفان وتتصلب وتخشن ولا تزال تحك على القرنية حتى تقرحها فتغشاها السحابات او يتكوَّن عليها نسيج من الاوعية وذلك ما يدعونهُ بالبانوس (Pannus) وهذا النسيج الوعائي اذا لم يتدارك في بدء ظهورهِ يتكيف ويتحول الى نسيج ليفي يغشى القرنية ويطمس بصر العين وتصبح ازالتهُ من اصعب الصعوبات والذي يزيد الطين بلة هو ان تضخم الاجفان وتصلبها وخمورها تسبب انقلاب الاشفار الى الداخل فتلامس الاهدابُ القرنيَّة وتهيجها لتواتر الاحتكاك وذلك ما يدعونهُ بداء الشعرة واذا لم يعالج هذا الداء بعملية جراحية تعيد الى الاجفان اتجاهها الطبيعي تظل الاهداب تحك على القرنية حتى تذهب بصفائها وشفافتها فينطمس البصر وتعمى العين

فيجب تخفيف مضار هذا الرمد المعمي وتداركهُ منذ اول ظهورهِ ومعالجتهُ معالجة فعَّالة. وطرق علاجهِ كثيرة تختلف باختلاف نوعهِ وحالتهِ وقد ذهب الرمديون في علاجهِ مذاهب شتى لا سبيل الى بيانها هنا ولكن طريقة الرمدي الشهير ابادي هي احسن الطرق لازالتهِ تمامًا لا سيما في الاحوال المستعصية . اما ما ينسبهُ بعض الرمديين الى طريقة ابادي هذه من ضمور الملتحمة وقصر الاجفان وغير ذلك فكلهُ زورٌ وبهتان ولا يسعنا المقام ايراد البراهين الدامغة التي تفند زعمهم هذا الباطل

ولكن رب قائل يقول انَّى يتيسر للفقراء معالجة هذا الرمد وهم المصابون بهِ في الغالب ولا يخفى ما يقتضي لمعالجتهِ من النفقة لاسيما اذا كان مزمنًا صعب الشفاء. فالجواب على هذا الاعتراض سهل. وذلك ان مصر محتاجة كل الاحتياج الى مستشفيات رمديَّة يعالج فيها الفقراء مجانًا . ألا ترى ان في كل بلاد اوربا مستشفيات مخصصة لمعالجة امراض العيون مع ان هذه الامراض اقل بكثيرٍ في بلاد الغرب منها في بلاد الشرق وعلى الخصوص مصر . وليست كل بلاد اوربا اغنى من وادي النيل بل ربما كانت مصر اغنى بكثيرٍ من بعض تلك البلاد وهنا نعود فنسأل عن الملوم في التقصير هل الحكومة او الشعب

امَّا الحكومة فلا شك ان رجالها العارفين بحقائق الامور ولا سيما المهتمين منهم بامر الصحة يعلمون ان مصر في حاجة شديدة الى مستشفيات رمدية ولا ندري ما هي اسباب سكوتهم عن ذلك . ولكن اذا كان رجال الحكومة لا ينظرون في كل شؤوننا ألا يمكننا ان ننظر فيها نحن . فلماذا لا نتحد ونؤلف شركة تجمع مالاً وتنشئ بهِ مستشفًى رمديًّا في القاهرة يضاهي احسن المستشفيات الرمديَّة في اوربَّا بحيث يجد المرضى فيهِ كل اسباب الراحة ويعالجوا باحسن الطرُق بمعرفة اشهر من عندنا من اطباء العيون . ويخصص قسمٌ من هذا المستشفى لمعالجة الفقراء مجانًا . فتعود من ذلك على المساهمين في هذه الشركة فائدتان الاولى الارباح من الذين يقدرون على دفع نفقات المعالجة والثانية عمل الخير وكسب الاجر . واذا أُنشئ هذا المستشفى في العاصمة وظهر نجاحهُ حذت حذوها اكثر بنادر القطر فتقلُّ امراض العيون وتخف وطأتها وتصير عواقبها سليمة

ويكون الرمد الحبيبي وبائيًّا في فصل الصيف اذ يتخذ شكلهُ الحاد الصديدي او بالحري يتضاعف بحدوث انواع اخرى من التهابات الملتحمة الميكروبية لأن المفرزات التي تحدثها تلك الالتهابات المضاعفة تلوث ايدي المصابين وملابسهم وكل ما يلمسون ممَّا يساعد على انتشار العدوى . ويكثر انتشار الرمد الحبيبي في الاماكن المزدحمة كمنازل الفقراء والمجتمعات العمومية

كالاديرة والجوامع والمدارس والكتاتيب والمعسكرات والتكايا وما شاكلها بسبب المخالطة فاذا تفشى هذا الداء في واحدة من هذه التجمعات ولم تتخذ الوسائط الفعّالة لمنع العدوى لا يلبث ان يصاب به الجميع

ومنذ بضع سنوات كان هذا الرمد متفشياً بكثرة في كل المدارس والجوامع وما شاكلها من الاندية الجامعة ومما اورده علوي بك الرمدي ان تلامذة المدارس الذين كانوا يصابون بالرمد الحبيبي لم يكنوا اقل من ٨٠ في المئة ولكن اصلاح شؤون المدارس والاعتناء بمعالجة المصابين وعزلهم عن الاصحاء انقصت تلك النسبة تدريجاً حتى اصبح عدد التلامذة المصابين بهذا الرمد في ايامنا هذه لا يزيد على ٢٠ في المئة

فيتضح مما تقدم ان اقوى الوسائط الفعالة لتخفيف وطأة هذا الداء حتى يزول هي تحسين شؤون المعيشة وعزل المصابين عن الاصحاء وبناء المستشفيات لمعالجتهم وهذا كلهُ لا يبلغ حد الاتقان الاَّ بزيادة تحسين احوال الشعب ادبياً ومادياً والاول اهم لانهُ مجلب للثاني

وخلاصة القول ان لكثرة العميان في وادي النيل ثلاث علل كبرى وهي :

اولاً جهل العامة وتهاونهم في اتقاء امراض العين ومعالجتها متى اصيبوا بها ودواء هذه العلة توسيع نطاق التعليم بانشاء المدارس الكثيرة المستوفية الشروط التي تغرس في قلوب الاحداث حب النظافة

ثانياً اقليم البلاد وحرارتها الرطبة وكثيرة الغبار المساعد على استيطان الرمد الحبيبي ودواء هذه العلة تحسين شؤون المعيشة كسكن المنازل الفسيحة النظيفة التي تدخلها اشعة الشمس ويتخللها الهواء واصلاح طرق المدن بتعميم الرش ثم الكنس (لان الكنس بلا رش او قبل الرش يثير الغبار ويضر اكثر مما ينفع) وزيادة غرس الاشجار واصلاح جسور السكك الحديدية والزيادة في تحسين شؤون المدارس والكتاتيب والجوامع والتكايا وبالاختصار كل الاندية العمومية

ثالثاً افتقار البلاد الى مستشفيات رمدية يعالج فيها الفقراء المصابون بالرمد الحبيبي وامراض العين الاخرى ويجدر باولي الحل والعقد جعل تلك المعالجة اجبارية كما يفعلون في التطعيم لمقاومة الجدري واذا صعب على الحكومة القيام بكل هذه المطالب فلا بدَّ لارباب الحجى واهل النهى والغيرة والثروة من الشعب المصري ان يتكاتفوا ويتعاونوا لايجاد الطرق المؤدية الى الغرض المقصود

الدكتور ابرهيم شدودي
طبيب العيون